Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلا تناقض اذن ولا اضطراب ، ولا رجوع عما دونه فى شأن النظم . ولكن قد يكون من حقنا ان نأخذ عليه عدم تحديد هذه المفاهيم قبل الخوض فى مناقشة اصحاب الأراء المخالفة . كما حدد النظم حتى لاتتشعب بنا الآراء من وجهة نظر أصحابها ، فحين تصور وقوفهم بـ « اللفظ » عند الجانب الصوتى . حارب هذا المفهوم له ، وحين وقفوا » بـ« المعنى » عندما لم يرده منه حارب ايضا هذا المفهوم له ، وبذلك التقى اللفظ والمعنى فى دائرة النظم عنده ، إذ أن الجانب اللفظى الذى دعا إليه ووقف به فى وجه أصحاب المعانى الغفل ليس شيئا سوى عملية الصياغة والنظم ، كما أن جانب المعنى الذى دعا اليه أيضا فى مواقف اخرى كثيرة ، ليس شيئا سوى المعنى المصور الذى لاوجود له إلا بعملية الصياغة والنظم أيضا . ومن هنا فأنا لا نكون مغالين اذا قلنا : إن عبد القاهر ظل وفيا امينا لنظريته فى النظم ، تلك التى قضت – كما سبق أن ذكرنا – على الثنائية بين اللفظ والمعنى . بهذا المفهوم الثانى الذى اراده لهما فى ضوء ما بينا . وجمعتهما الصورة فى وحدة متلاحمة الأجزاء .

ولقد كان مبعث الخلاف يبين عبد القاهر وخصومه هنا هو انهم لم يروا فى الكلام غير اللفظ والمعنى . ومن هنا وقعوا فى الخطأ حين ارجعوا الفصاحة إلى اللفظ أما هو فقد رأى فى الصورة امرا ثالثا ، من ادركه لم يقع فيما وقع فيه هؤلاء ، ولذا يقرر . إن « أصل الفساد ، وسبب الآفة هو ذهابهم إلى أن من شأن المعانى ان تختلف عليها الصور وتحدث فيها خواص ومزايا من بعد الاتكون ، .. فان جهلهم بذلك من حالها هو الذى أغواهم واستهواهم ، وورطهم فيما تورطوا فيه من الجهالات ، واداهم إلى التعلق بالمحالات ، وذلك انهم لما جهلوا شأن الصورة . وضعوا لأنفسهم أساسا وبنوا على قاعدة ، فقالوا ، إنه ليس إلا المعنى واللفظ ولا ثالث ، وانه اذا كان كذلك وجب إذا كان لأحد الكلامين فضيلة لاتكون للآخر ، ثم كان الغرض من أحدهما هو الغرض من صاحبه . أن يكون مرجع تلك الفضيلة إلى اللفظ خاصة ، والا يكون لها مرجع إلى المعنى من حيث أن ذلك – فى زعمهم – يؤدى إلى التناقض ، وأن يكون معناهما متغايرا وغير متغاير معا . ولما اقروا هذا فى نفوسهم . حملوا كلام العلماء فى كل مانسبوا فيه الفضيلة إلى اللفظ على ظاهره ، وأبوا ان ينظروا فى الأوصاف التى اتبعوها نسبتهم الفضيلة إلى اللفظ مثل قولهم : لفظ متمكن غير قلق ، ولا ناب به موضعه ... فيحلموا انهم لم يوجبوا للفظ ما أوجبوه من